تفسير إبن كثير

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

وقوله : (والذين آمنوا باالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذا تمام لجملة وصف المؤمنين باالله ورسله بأنهم صديقون .قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (والذين آمنوا باالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذه مفصولة (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) .وقال أبو الضحى : (أولئك هم الصديقون) ثم استأنف الكلام فقال : (والشهداء عند ربهم) وهكذا قال مسروق ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم .وقال الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد االله في قوله : (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) قال : هم ثلاثة أصناف : يعني المصدقين ، والصديقين ، والشهداء ، كما قال [االله] تعالى : (ومن يطع االله والرسول فأولئك مع الذين أنعم االله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) [النساء : 69] ففرق بين الصديقين والشهداء ، فدل على أنهما صنفان . ولا شك أن الصديق أعلى مقاما من الشهيد ، كما رواه الإمام مالك

بن أنس ، رحمه االله ، في كتابه الموطإ ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : " إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم " . قالوا : يا رسول االله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : " بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا باالله وصدقوا المرسلين " .اتفق البخاري ، ومسلم على إخراجه من حديث مالك بهوقال آخرون : بل المراد من قوله : (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) فأخبر عن المؤمنين باالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء . حكاه ابن جرير ، عن مجاهد ، ثم قال ابن جرير :حدثني صالح بن حرب أبو معمر ، حدثنا إسماعيل بن يحيى ، حدثنا ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يقول : " مؤمنو أمتي شهداء " . قال : ثم تلا - صلى االله عليه وسلم - هذه الآية (والذين آمنوا باالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم) هذا حديث غريبوقال أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون في قوله : (والذين آمنوا باالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم

ونورهم) قال : يجيئون يوم القيامة معا كالإصبعين .وقوله : (والشهداء عند ربهم) أي : في جنات النعيم ، كما جاء في الصحيحين : " إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : ماذا تريدون ؟ فقالوا : نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة . فقال إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون "وقوله : (لهم أجرهم ونورهم) أي : لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم ، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال ، كما قال الإمام أحمد :حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن أبي يزيد الخولاني قال : سمعت فضالة بن عبيد يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت النبي - صلى االله عليه وسلم - يقول : " الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان ، لقي العدو فصدق االله فقتل ، فذلك الذي ينظر الناس إليه هكذا - ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول االله - صلى االله عليه وسلم - أو قلنسوة عمر ، والثاني مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح ، جاءه سهم غرب فقتله ، فذاك في الدرجة الثانية ، والثالث رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر

سيئا لقي العدو فصدق االله حتى قتل ، فذاك في الدرجة الثالثة ، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافا كثيرا ، لقي العدو فصدق االله حتى قتل ، فذاك في الدرجة الرابعة "

.وهكذا رواه علي بن المديني ، عن أبي داود الطيالسي ، عن ابن المبارك عن ابن لهيعة ، وقال : هذا إسناد مصري صالح . ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال : حسن غريبوقوله : (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر السعداء ومآلهم ، عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم .